

## الدرس الخامس والعشرون

### الادلة على عصمة الانبياء.

- المقدمة
- الادلة العقلية على عصمة الانبياء.
- الأدلة الثقلية على عصمة الأنبياء.
- السر في عصمة الأنبياء.



## المقدمة

الاعتقاد بعصمة الأنبياء من الذنوب والمعاصي العمدية والسهوية من المعتقدات القطعية والمعروفة عند الشيعة، علّمها الائمة (ع) لشيعتهم، وناظروا بها مخالفهم بأساليب مختلفة. ومن المناظرات والاحتجاجات المعروفة في هذا المجال؛ احتجاج الإمام الرضا (ع) المذكور في كتب الحديث والتاريخ.

ولكنّ هناك خلافاً حول نفي السهو والنسيان عن الأنبياء في الأمور المباحة والعادية، ولا تخلو ظواهر الروايات المنقولة عن أهل البيت (ع) من اختلاف وتعارض، والبحث فيها يحتاج الى مجال أوسع، وعلى كلّ حال لا يمكن اعتبارها من المعتقدات الضرورية.

ويمكن تقسيم الأدلة التي ذُكرت لعصمة الأنبياء (ع) الى مجموعتين: إحداهما: الأدلة العقلية، والثانية: الأدلة النقلية، وإن كان الاعتماد على الأدلة النقلية أكثر ونحن هنا نستعرض دليلين عقليين، ثمّ نذكر بعض الأدلة القرآنية.

### الأدلة العقلية على عصمة الأنبياء

الدليل العقليّ الأوّل على لزوم عصمة الأنبياء (ع) من ارتكاب المعاصي: إن الهدف الاصليّ من بعثهم هو تعريف البشر بالحقائق والوظائف التي عيّنها الله للبشر، وفي الواقع أنّهم سفراء من الله للبشر، يلزم عليهم هداية الآخرين للطريق المستقيم، فإذا كان هؤلاء السفراء أنفسهم غير ملتزمين بالتعاليم الإلهية، بل يعملون بما يخالف محتويات رسالتهم، فإن الناس

سيرون في عملهم هذا بياناً مخالفاً لأقوالهم، وبذلك سوف لا يتقون بأقوالهم، ونتيجة لذلك سوف لا يتحقق الهدف من بعثهم بصورة كاملة. اذن، فالحكمة واللطف الإلهيان يقتضيان أن يكون الأنبياء معصومين ومنزهين عن المعاصي، بل لا يصدر منهم العمل القبيح حتى سهواً ونسياناً، لئلا يحتمل الناس أنهم اتخذوا إدعاء السهو والنسيان مسوغاً لارتكابهم الذنب والمعصية.

الدليل العقلي الثاني على عصمة الانبياء: إن الأنبياء كما أنهم مكلفون بإبلاغ محتوى الوحي والرسالة للناس، وهدايتهم للطريق المستقيم؛ كذلك هم مكلفون بالقيام بتزكية الناس وتربيتهم وإصلاحهم، وإيصال الأفراد المؤهلين وذوي الاستعداد الى آخر مرحلة من مراحل الكمال الإنساني، وبتعبير آخر: إن على عاتقهم - إضافة الى تكفلهم مهمة التعليم والهداية - مهمة التربية والإصلاح والتوجيه، تلك التربية الشاملة التي تشمل حتى أكثر الناس استعداداً وأسماهم درجة، ولا يستحق مثل هذا المقام الإصلاحي الرفيع إلا أولئك الذين بلغوا أسمى درجات الكمال الإنساني، ويمتلكون أكثر الملكات النفسية كمالاً، وهي ملكة العصمة.

أضف الى ذلك أن دور سلوك المربي وأفعاله أكثر تأثيراً من أقواله في تربية الآخرين وإصلاحهم، ومن وجدت نقائص وعثرات في أفعاله، فإن قوله سوف لا يملك التأثير المنشود، اذن فأنما يتحقق الهدف الإلهي من بعثة الأنبياء بصورة كاملة بما هم مربو المجتمع ومصلحوه، فيما لو كانوا معصومين ومنزهين عن كل انحراف في أقوالهم وأفعالهم.

### الأدلة النقلية على عصمة الأنبياء

١ - عبّر القرآن الكريم عن بعض الأفراد بـ (المخلص)<sup>(١)</sup>، حيث لا

---

(١) لا بد من أن نعلم بأن (مخلص) يفتح اللام غير (مخلص) بكسرهما، فالأول بدل على ان الله جعل الشخص خالصاً، ومعنى الثاني ان الشخص يمارس اعماله بإخلاص ونية مخلصه.

يطمع في إغوائهم حتى الشيطان، ومن هنا أقسم على إغواء بني آدم جميعهم وأستثنى المخلصين، كما جاء في الآيتين ٨٢ - و ٨٣ من سورة ص: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ \* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾.

ولا شك في أن مبعث يأس الشيطان من إغوائهم انما هو؛ ما يملكونه من تنزيه وصيانة من الضلال والآثام، وإلا فإنَّ عداؤه شامل حتى لهؤلاء، ولو كان يمكنه اغواؤهم لما تخلَّى عن إغوائهم وأعرض عنهم. إذن فعنوان (المخلص) مساوٍ لـ (المعصوم)، وإنَّه - وإن لم يوجد دليل على اختصاص هذه الصفة بالأنبياء - إلا أنه لا يمكن الشك في شمولها لهم. وقد اعتبر القرآن الكريم بعض الأنبياء من المخلصين كما جاء في الآيتين ٤٥ و ٤٦ من سورة ص:

﴿وَإِذْ ذُكِّرُوا عَبْدًا إِبْرَاهِيمَ وَأَسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ \* إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾.

وفي الآية (٥١) من سورة مريم:

﴿وَإِذْ ذُكِّرَ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾.

وكذلك اعتبر السبب في تنزه يوسف (ع) عن الانحراف في أشد الظروف هو أنه كان مخلصاً، كما في الآية (٢٤) من سورة يوسف: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾.

٢ - لقد فرض القرآن الكريم على البشر إطاعة الأنبياء بصورة مطلقة كما جاء في الآية (٦٤) من سورة النساء:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

وإنما تصح اطاعتهم المطلقة فيما لو كانت في مسار إطاعة الله وبموازاتها، بحيث لا تكون إطاعتهم منافية لإطاعة الله، وإلا فإنَّ الأمر بالطاعة المطلقة لله تعالى، والأمر بالطاعة المطلقة لمن هم معرضون للخطأ والانحراف سيكونان على طرفي نقيض.

٣ - لقد خصَّص القرآن الكريم المناصب الإلهية لأولئك الذين لم

يَتْلُوْهُنَّا بِ (الظلم). يقول تعالى في جوابه لإبراهيم (ع) الذي طلب منصب الإمامة لأبنائه :

﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

ونحن نعلم أن كلَّ معصية هي ظلم للنفس على الأقل، وكلَّ عاصٍ ومذنب ظالمٌ في عرف القرآن الكريم، إذن؛ فالأنبياء أصحاب المنصب الإلهي (النبوة والرسالة) لا بدَّ وأن يكونوا منزَّهين عن كلِّ ظلم ومعصية ويمكن الاستفادة عصمة الأنبياء (ع) من آيات أخرى، وروايات كثيرة نعرض عن ذكرها.

### السر في عصمة الأنبياء

في نهاية هذا الدرس تجدر بنا الإشارة الى السرِّ في عصمة الانبياء، فأما السرُّ في صيانتهم في مجال تلقّي الوحي فهو: إن إدراك الوحي من قبيل المدركات التي لا تحتل الخطأ، والشخص المؤهل لتلقّيه، متوفّر على حقيقة علمية يدركها حضورياً، ويشاهد ارتباطها بالموحي - سواءً كانت هناك واسطة (مَلَك) أم لم تكن<sup>(٢)</sup> - ولا يمكن لمتلقّي الوحي أن يشكَّ بأنّه هل تلقّى الوحي أم لا؟ أو مَنْ الَّذي أوحى إليه؟ أو ما هو محتواه ومفادها؟

وإذا ما وردت بعض القصص والحكايات الموضوعة والمكذوبة التي تدّعي أن النبي شكَّ في نبوّته! أو لم يدرك محتوى وحيه! أو لم يعرف الموحي اليه! فهذه أخبار كاذبة، وهذه الأباطيل تشبه أن يقال: إنه شكَّ في وجوده، أو في مدركاته الحضورية والوجدانية.

أما السرُّ في عصمة الأنبياء في مجال القيام بالوظائف الإلهية، ومنها إبلاغ رسالة للناس، فيحتاج لمقدمة هي:

إنَّ الأفعال البشرية إنّما تتمُّ بأن يحصل في أعماق الانسان ميلٌ لأمر

(١) البقرة/١٢٤.

(٢) يقول القرآن الكريم في ذلك: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ (النجم/١١).

ينشده، يُثار هذا الميل نتيجة لعوامل ومثيرات مختلفة، ويحدّد الانسان طريق الوصول لهدفه المنشود بمعونة العلوم والمدركات المختلفة، ثم يقدم على العقل المتناسب معه، واذا وُجدت الميول والرغبات المتعارضة والمتزاحمة، فإنّه يسعى قدر جهده لتحديد أفضلها وأكثرها قيمة وأهميّة، ويختاره عملياً. ولكنّه أحياناً - ونتيجة لنقص في علمه وقصور في معرفته - يكون مخطئاً في تقويم الأفضل وتحديدّه، أو أنّه لغفلته عن الأصلح، أو نتيجة لتعوده على الامر الأسوأ يسيء الاختيار، ولا يبقى لديه مجال للتفكير الصحيح واختيار الأصلح. اذن فكلّما كان الانسان أكثر معرفة بالحقائق، وأكثر وعياً وتوجُّهاً، وثباتاً وحيويّة، وأقوى إرادة على ضبط الميول والانفعالات الداخليّة؛ فإنّه سيكون أفضل في حسن اختياره، وسيكون أكثر مناعة من الانحرافات والأخطاء.

ومن هنا فإنّ بعض الأفراد المؤهّلين ومن ذوي الاستعدادات العالية الذين تلقّوا الثقافة اللازمة والوعي الضروريّ ونعموا بالتربية الصحيحة، سوف يتوصّلون الى مراحل مختلفة من الكمال والفضيلة، وربّما يقتربون من حدود العصمة بل ولا يخطر في اذهانهم مجرّد التفكير باقتراف الذنب والعمل السيء، كما لا يفكر أيّ عاقل يشرب السّم والجُرْع والعقاقير المميّنة أو تناول الأشياء القذرة والعفنة.

اذن، فإذا افترضنا أن فرداً بلغ الغاية في استعداداته لادراك الحقائق، وارتفع صفاء روحه وقلبه إلى أسمى المستويات والدرجات وحصل له كلّ ذلك بشكل ذاتيّ محض ودون الحاجة الى دفع أو تحريك، كما يعبر القرآن ﴿يَكَادُ رُيتُهَا يُضيئُ وَلَوْ لَمْ تَمْسُسْهُ نَارٌ﴾ وبسبب هذا الاستعداد القوي والصفاء الذاتي، تتولاه التربية الإلهيّة، ويؤيّد بروح القدس فإنّ هذا الفرد سوف يطوي مدارج الكمال بسرعة لا توصف، وربّما اجتاز في ليلة واحدة طريقاً لا يُجتاز إلّا بمئة سنة، وربّما تفوّق على الآخرين حتى في مرحلة طفولته، بل حتى وهو جنين، وسوف يظهر لمثل هذا الفرد قبح المعاصي والذنوب، تماماً كظهور ضرر السّم ووضوحه وقبح الأشياء العفنة والقذرة للآخرين. وكما أنّ اجتتاب الأفراد العاديين أمثال هذه الأفعال القاتلة أو القذرة ليس جبرياً، فإنّ اجتتاب المعصوم المعاصي لا ينافي الاختيار أبداً.

### الأسئلة :

- ١ - أذكر الأدلة العقلية على عصمة الأنبياء
- ٢ - ما هي الآيات القرآنية التي تدلُّ على عصمة الأنبياء؟
- ٣- ما هو السرُّ في صيانة الأنبياء عن الخطأ في تلقِّي الوحي؟
- ٤ - كيف تتلاءم عصمة الأنبياء عن المعاصي مع اختياريتهم؟